نساء في الإسلام

* * *

فاطِمَةُ بِنْتُ الخطَّاب

رَضِيَ اللّهُ عَنها

نجلاء شوقي حسن

نساء فى الإسلام

فاطمةُ بنتُ الخطّاب

تأليف

نجلاء شوقى حسن

الناشـــر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة

ت : ٥٩٠٨٩٢٠

فاطمةُ بنتُ الخطّاب

هى فاطمةُ بنتُ الخطّابِ بنِ نُفَيل ، أحدِ كبارِ وأشرافِ بنى مَخزومٍ فى قُرَيش .

نشأتْ فاطمةُ بينَ أهلِها وعَشيرتِها ، وتَحلّت بالفَضائلِ العَربيَّة ، إلى جانبِ القُوَّةِ فى تَكوينِ شَخصيَّتِها .

بَلغت فاطمةُ واكتملَ شَبابُها ، خَطبَها قَريبٌ لها اسمُهُ سَعيدُ بنُ زَيدِ بنِ عَمرو ، ومن ثَمَّ اقترَنَ بِها واتّخذا لهما بَيتًا فى قُرَيش ، وكانتْ فى حَياتِها سَعيدةً هانِئة .

ذاتَ يَومٍ الْتَقى سَـعيدٌ بصَديقِهِ خَبّـابِ بـنِ الأَرَتّ ، وكانتْ بينَهـما صَداقةٌ وَثيقَةٌ حَميمَة .

وكان خَبّابٌ ـ رَضِيَ اللّه عَنه ـ من الْمُبَشَّرينَ بالجَنّة ، الّذينَ حَملوا الدَّعوةَ إلى اللّـه ، ومـن الّذينَ وَكَلَ إليهم رَسـولُ اللّـه ــ صلّـى اللّـه عليه وسلّم ـ أمـرَ الإسْـلام ، بعـد أن فَقِهـوهُ وانْطَبعوا بهِ فى بِدايَةِ الدَّعوَة .

أخبرَ خَبّـابٌ صَديقَـه سَـعيدا بإسْـلامِه ، وحدَّثَهُ عـن الدّيـنِ الّـذى يَدعـو إليـه مُحمَّـدٌ فأقنَعَه .

وذهبَ سَعيدٌ إلى رَسولِ اللّه ــ صلّـى اللّـه عليه وسلّم ـ فأسلم بَين يَدَيه ، وقال : أَشهَدُ

أنْ لا إلَهَ إلاّ اللّه ، وأشهَدُ أنَّ مُحمَّدًا رَسولُ اللّه .

فلمَّا عادَ سَعيدٌ إلى البَيْت ، أخبرَ زَوجَتَه بما جَرَى وما أقدمَ عليه ، وأخبرَها في سُرورٍ عن لِقائهِ برَسولِ اللّه ، وما شَعرَ به سَعيدٌ في هَذا اللّقاء ، فقالَتْ له فاطِمةُ في شَوْق : وإلَى ماذا يَدعو دينُ مُحمَّد ؟

فأخذَ يَشرَحُ لها بعضَ ما سَمِعَه من رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ الّذى جاءَ بنُورِ الحقِّ ليُبدِّدَ ظلامَ الجاهِليَّة .

كانتْ فاطِمةُ بنتُ الخَطّابِ تَسمَعُ زَوجَها سَعيدا ، وتَطلُبُ منه أن يُخبِرَها بالمَزيدِ في

شَوْق ، وهــى تُصغى إليـه بكُـلِّ جَوارِحِهـا ، وتفكِّرُ بعَقلِها فى كلِّ ما يُقال .

أرادتْ فاطِمةُ بنتُ الخَطّابِ أن تَرَى رَسولَ اللَّه ـ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ـ فطلبتْ من زَوجِها سَعيدٍ أن يَأخُذَها إليه ، فأخذَها سَعيد .. وعندَ رَسولِ اللَّهِ أسلَمتْ فاطِمة ، وشَهِدتْ بالشَّهادَتَيْن ، ودخل نورُ الحقِّ قَلبَها .

وكان من يُسلِمْ من النّاسِ فى ذلكَ الوقت ، ويَتّبِعْ دينَ مُحمَّد ، يَحرِص على ألاّ يَشيعَ خبرُ إسْلامِه ، خوفًا من المُشركينَ

وبَطشِـهم ، وكـانَ بـينَ المشـركينَ عمـرُ بــنُ الخَطّاب ، شَقيقُ فاطِمَة ، وكان مَعروفًا بقُوَّتهِ وبَطشِه ، وسُرعَةِ غَضَبه .

ذاتَ يَوم ، رأى عُمرُ أنْ لا بُـدَّ مـن حَسـمِ الأَمرِ بقَتلِ مُحمَّد ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فإنّه لَمْ تُجدِ الاجتِماعاتُ ولا المَشـوراتُ فى بُطونِ قُريْـشٍ يَومًـا بعـدَ يَـوم ، فـرأى حتمِيَّـةَ الحَـلِّ العَملِـيّ . وضَـرورَةُ حَسْـمِ المَوقِـف تَقتَضى القتلَ ولا شىءَ غـيرَه ، فخـرجَ عُمـر مُتوشِّحًا بسَيفِه ، يُريدُ رَسـولَ اللّـه ـ صلّـى اللّه عليه وسلّم ـ ورهطًا من أصْحابِه ، ذُكِـرَ له أنّهم اجْتَمعوا بدارِ الأرْقَم عِندَ الصَّفا .

وفيمـا هـو فـى طَريقِــه ، لقِيَــه نَعيــمُ بــنُ عبدِ اللّهِ فسأَلَه :

ـ أينَ تُريدُ يا عُمَر ، وأراكَ غاضِبًا ثائرا ؟

قالَ عُمر : أُريدُ مُحمَّدًا هذا الصّابِئَ الّـذى فرَّقَ أمـرَ قُرَيـش ، وسفَّهَ أحلامَهـا ، وعـابَ دينَها وسَبَّ آلِهَتَها .. فأَقْتُلَه .

قـال نَعيـم : واللّـهِ قـد غرَّتـكَ نَفسُـك مـن نَفسِكَ يا عُمر .. أتَرى بنــى هاشــمٍ تـارِكيكَ تَمشى على الأَرضِ وقد قَتلتَ مُحمَّدًا ؟ أفَلا ترجِعُ إلَى أهلِ بيتِكَ فتُقيمَ أمرَهُم ؟

قالَ عُمرُ فى دَهشَة : وأىُّ أهلِ بَيتى ؟

قالَ نَعيم : ابنُ عَمِّكَ زَوجُ أُختِك سَعيد ،

وفاطمَـةُ أُختُـك ، فقـد واللّـه أسْلَما وتابَعـا مُحمَّدًا على دينِه .. فعليكَ بهما .

قـالَ عمـر : أوَقَـدْ فَعـلا ذلـك ؟ لَئـن فَعـلا لأَقتُلَنَّهما .

ثم مضَى مُسرعًا نَحو بَيـتِ أُختِـهِ فاطِمَـة ، وقبلَ أن يَطرُقَ بـابَ البَيـت ، سَـمِع أصْواتًـا تُردِّدُ كَلِماتٍ لم يَسمَعْها من قَبل .

كان خَبّابُ بنُ الأرَتّ ـ رضِيَ اللّه عنـه ـ في ذَلكَ الوَقتِ عندَ سَـعيدٍ وفاطِمَـة ، ومعـه صَحيفَةٌ يُقرِئهُما فيها سورَةَ « طهَ » .

طرقَ عمرُ البابَ وهو يُنـادى علـى أُختِـه .

فلمّا سَمِعوا صوتَ عُمر ، اختَفَى الخَبّابُ في

مَخدَعٍ لَهم ، وأخفتْ فاطِمةُ الصَّحيفةَ من فَورِها ، ثمَّ أسرَعتْ تَفتحُ بابَ البَيتِ لأَخيها .

فلمّا دخلَ عُمرُ على أُختِهِ وزَوجِها سَعيد ، سألَهُما عن تِلكَ الكَلِمَاتِ الّتى يَتَبَيَّنْها جيِّدا ..

فقالا له : ما سَمِعنا شَيئا ..

قالَ عُمر : إنّكما تكذِبان ، فقد أُخبِرتُ أنّكما تابَعتُما مُحمَّدًا في دينِه .

وهجمَ عمرُ على صِهرِه سَعيدٍ وصَفعَه وألقاهُ على الأرض ، فجُرِحَ وَجرت دِماؤه .

فقامتْ فاطِمةُ لتُدافِعَ عن زَوجِها ، وتقِفَ

حـائِلا بينَـه وبــينَ عُمَــرَ الغـاضِبِ تَمنَعُـه ، فضرَبَها وجرت دِماؤها هىَ الأُخرَى .

قالا له فى تَحـدٍّ وقُـوَّة : نعـم لقـدْ أسْلَمنا وآمَنّا باللّهِ وبمُحمَّدٍ رَسـولِه ، فـاصنَع مـا بَـدا لك .

وقف عُمرُ حائِرا وهــو يَـرى منظَـرَ الدِّمـاءِ تَسيلُ مــن فاطِمــةَ وسَـعيد ، وصمودَهمـا أمامَـه ، واعْتِرافَهُمـا دونَ خَــوفٍ أو خَشــيَةٍ باتِّباعِهِما دينَ مُحمَّد . أثَّـرَ هـذا الموقِفُ فـى عُمر ، ونَدِمَ لتَسرُّعِه ، فقـالَ لأُختِـهِ فاطِمَـة : أعطينى هذه الصَّحيفَةَ الّتـى تَقـرَءون ، أنظـرُ

ما هذا الّذى جاءَ به مُحمَّد .

قالتْ فاطِمة : إنّا نَخشَى عليها مِنك أن تُمزِّقَها .

قالَ عُمر : لا تَخافى يا فاطِمَة .

ووعدَها أن يَردَّها إليها .

قالتْ له : ولكنَّ هذا القُرآنَ لا يَمسُّه إلاّ المُطهَّرون .

فقامَ عمرُ فاغتَسلَ بالماء ، فأعطَتهُ فاطِمةُ الصَّحيفَةَ فقَرأها .

قرأَ عُمرُ القُرآنَ وتَمعَّن فى كَلِماتِهِ جَيِّدا ، ثمَّ قال : ما أجملَ هذا الكلامَ وأكرَمه . إنّه كلامٌ لا يَأتى من بَشَر .

فعندما سَمِعَه خَبّاب ، خرجَ من مَخبَئِه الّذى توارى فيه ، ثمَّ قال لعُمر : يا عُمر : إنّى لأرجو منَ اللّهِ أن يكونَ قد خصَّكَ بدَعوَةِ نَبيِّه ، فإنّى سَمِعتُهُ أمْسِ وهو يَقول : اللّهمَّ أيِّد الإسْلامَ بأبى الحَكمِ بنِ هِشام ، أو بعُمرَ بنِ الخطّاب . فاللّهَ اللّهَ يا عُمَر .

قالَ عُمر : دُلّنى يا خَبّابُ على مُحمَّد ، حتّى آتيهِ فأُسلِم .

وصدقَ عمَرُ وأسلَم بينَ يَدىْ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وكانَ إسلامُهُ كما قالَ عَنه رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ فَتحا .

والحديثُ يَطولُ عن إسْلامِ عُمـر ــ رضِىَ اللّهُ عنه ــ ولكن لا نَنسَى دورَ فاطمـةَ بنـتِ الخَطّـاب ــ رضِىَ اللّـه عَنهـا ــ ومَوقِفَهـا الإيمانىَّ القَوِىّ ، وتَصَدّيهـا لأخيها عُمَـرَ بـنِ الخَطّـاب ، الّـذى كـان لـه الأَثَـرُ الأوَّل ، فتلاشَى جَبرَوتُـه وكِبرِياؤه ، واهـتَزَّت ثِقَتُـه بمُعتَقداتِـه ، أمـامَ صَلابَـةِ مَوقِفِهـا وإيمانِهـا وإسْلامها .

وكـانتْ فاطِمـةُ مـن المؤمنـاتِ المُسـلِماتِ الأَوائل ــ رضِىَ اللّـه عَنهـا ، وتَحمَّلـتْ هـى وزَوجُها قَسوةَ العَيشِ والمُعانـاةَ الّتـى أصـابَتِ المُسلِمين ، من كفّارِ قُريـش ، وهـاجَرتْ مـع

المُهاجرينَ إلى الحَبشَة ، ثمَّ عادت وزَوجُها إلى المَدينَة ، وكانتْ فى استِقبالِ رَسولِ اللّه ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ معَ المُهاجِرينَ والأنصار ، عندَ قُدومِهِ إلى المَدينَة .

وكانتْ فاطمةُ بنتُ الخَطّاب ـ رضِيَ اللّه عنها ـ تَحضُرُ مجالِسَ العِلمِ والفِقه ، وتَستَمع إلى أحاديثِ رَسولِ اللّه ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ فروتْ بعضَ الحَديثِ عن رَسولِ اللّه ـ صلَّى اللّه عليه وسلَّم ـ وكانت الزَّوجةَ المؤمِنَةَ الصّابِرَة ، حين استُشهِدَ زَوجُها سعيدُ بنُ زَيدٍ فى سَبيلِ اللّه ، فى إحدَى مَعارِكِ المُسلِمين .

(١٦)

وعاشَــتْ حياتَهـا عـابِدَةً شـاكِرة ، ناصِحَــةً ساعِيةً للخَير ــ رضِيَ اللّٰه عَنها ــ .

نساء فى الإسلام

(١) السيدة صفية رضى اللّه عنها

(٢) أم هانئ رضى اللّه عنها

(٣) أم ورقة رضى اللّه عنها

(٤) أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها

(٥) نسيبة بنت كعب رضى اللّه عنها

(٦) أم الدرداء رضى اللّه عنها

(٧) السيدة نفيسة رضى اللّه

(٨) السيدة زينب رضى الـ

(٩) فاطمة بنت الخطاب رضى الـ

(١٠) فاطمة الزهراء رضى الـ

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه

الثمن ٥٠ قرشا